امرأة برائحة المطر

صفا غنيم

obeikan.com

الكاتبة في سطور

صفا غُنيم حاصلة على ليسانس حقوق أعمل محامية ومذيعة بإذاعة بنت الزيات.

أول عمل أدبي لي/ قصة(وتر كمان) بالمجموعة القصصية رؤى حالمة.

أكثر ما يأخُذني من هذا العالم البخيل هي الكتابة حيث أنني دومًا ما أهرب إليها ولها حينما أفقد القدرة على مواجهة زيف هذا الكون.. فأجد بها الراحة وبراح لا حدود له، أكتب علني أجد رائحة من تركونا ورحلوا.

أكتب علني أجد ما أبحث عنه من براءة وطهر، وأدعو الله عز وجل أن يكون بمقدور الكتابة أن توقف الحروب والكره، وتعود ثانيةً السنابل الخضراء والحمام الأبيض ورسائل الحب....

للتواصل معي على الحساب الخاص بي على موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك): safaparadays @yahoo. com.

امرأة برائحة المطر

جلس في ركن بعيد داخل مقهى محطة القطار ينشد بين جنباته الدفء وقد أمسك بالجريدة يتصفح عناوينها ما بين سياسة وفن واجتماعيات في محاولة يائسة منه لأن يمر الوقت، ويصل القطار الذي سيقله إلى مرسى مطروح حيث مقر عمله كمهندس تعدين ليطوي الجريدة بملل شديد واضعها أمامه على الطاولة ليُسافر ببصره في المكان يتأمل وجوه من حوله، ليكتشف أن المقهى قد ازدحم بشدة ومُلأ عن أخره فالجو مُمطر شديد البرودة فلم يكن منه غير أن زفر بضيق شديد ونادى على النادل طالب فنجان من القهوة عله ينسى الوقت به، فحياته كمهندس تعدين جعلته يتغلف بالخصوصية والغرور فى آن واحد ليشعر من يراه للوهلة الأولى أنه مدينة مُحصنة قد كُتب عليها ممنوع الاقتراب.

أخذ يعبث بهاتفه في مُحاولة يائسة منه لأن يمر الوقت ويصل القطار وقد أمسك بفنجان قهوته يتناوله لتتعلق عينيه فجأة دون إرادة منه بباب المقهى ليراها تدلُف منه وقد أغرقتها الأمطار وابتلت ملابسها وقد احتضنت نفسها بكلتا يديها علها تشعر ببعض من الدفء، لتظل واقفة مكانها تبحث عن مكان شاغر بين طاولات المقهى لتجلس به وقد أصابتها الحيرة فلا مكان هُناك يُرحب بها إلا طاولة شاغرة لا أحد يُشاركه فيها، وما إن وقعت عينيها عليه حتى التقت أعينهم للحظات حاول فيها أن يستجمع قواه التي خانته وكبرياءه الذي تخلى عنه فجأة، لينتبه على صوتها وهي تقف أمامه قائلة له: هل تسمح لي أن أُشاركك طاولتك؟

فحاول بكل ما أوتي من قوة أن يظهر غير مُبالي بها، فنظر في هاتفه وبشيء من برود مضطرب قال لها: **تفضلي** دون أن ينظر إلى وجهها، لتُجيبه بحياء به نبرة

تعجب من تصرفه شكرًا لك؛ لم يهتم بأن يرد عليها شكرها بل كان مُهتم أكثر بأن لا تعلو دقات قلبه عن هذا الحد الذي يشعر به خوفًا من أن تسمعها هي وتتبين ضعفه الإنساني؛ الذي يدق قلبه للمرة الأولى في حياته، ليحضر النادل بابتسامته الواسعة قائلًا لزائرة الطاولة: **سيدتي هل لي أن أحضر لكِ شيء؟**

لتُجيبه بابتسامة أوسع أظهرت أسنانها البيضاء: أشكرك هل لي بفنجان قهوة؟ **النادل: كما تُحبين سيدتي.**

تركها ومضى ليُحضر لها فنجان قهوتها لتُمضي بضع دقائق رتيبة وهي تدق الطاولة بأصابعها؛ لينظُر إليها للمرة الأولى منذ أن شاركته طاولته وصمته ونبضات قلبه، ليرى لون عينيها الأسود العميق الذي يحوي دفء غريب، وملامحها الطفولية التي تبعث طمأنينة غريبة بداخل من يراها ليجد الكلمات قد تلاشت منه ونسى ما كان ينوي أن ينطق به فصمت هامسًا لنفسه: **ماذا حدث لك؟**

لما تلك البعثرة والإضطراب؟

هل تصدق ان هناك حب من النظرة الأولى؟

لا **لا كف عن هذا العبث واترك تلك المُهاترات جانبًا** ليجد صوت آخر أتى من داخله يُجيب عليه قائلًا: لما تُطلق عليه عبث؟! ما المانع أن تُسميه احتواء نفس لنفس واختلاط شعور بشعور دون أن تدري لما لا تُعطيه اسمه الحقيقي وتعترف أنه بداية إعجاب وربما بداية قصة جديدة بحياتك، تلك الزائرة هي من تكون البطلة لينتبه من شروده وأفكاره على غُلاف رواية عنوانها الأطلال كانت قد أمسكت بها تتصفحها ليعاوده الصوت ثانيةً يهمس له: يا أبله انتهز الفرصة وتحدث معها عن تلك الرواية.

لا تُضيع الفرصة فغمغم بكلمات غير مفهومة وكأنه يُجرب ما سيقوله وكانت قد شعرت بارتباكه فابتسمت وبادرته القول قائلة له: هل قرأت الأطلال من قبل؟ ليأخذ نفس عميق مُجيبًا إياها: **نعم قرأتها منذ سنوات، فأنا ممن يعشقون كتابات يوسف السباعي.**

هي: حقًا إنه فارس الرومانسية ونظرت له نظرة طويلة صامته تود أن تُخبره فيها أن لا يخاف، مُتمنية أن تهديه الأمان ليتحدث معها فنادرًا ما نُقابل أُناس نشعر معهم بالأمان، ورغم غموضه وصلابته معها إلا أنها أحست أنه يخفي داخله قلب نقي مُحب يحتاج فقط لمن يحتويه ويُترجمه دون أخطاء، لتستأنف هي حديثهم قائلة: اسمي ليلى، أعمل مُدرسة موسيقى بإحدى مدارس مرسى مطروح ليبتسم هو للمرة الأولى منذ لقائهم وكأن اسمها مسح داخله برفق فأزال عنه ما قد علق به من جمود الأيام ليشعر بشُعاع نور يُنير له ما بين عينيه ليرى الكون بألوان قوس قزح.

وبشيء من براءة الأطفال قال لها: **أهلًا بكِ سيدتي وأنا اسمي أحمد أعمل مهندس بمطروح أيضًا.**

ليلى: سعيدة بلقاءك ومعرفتك لتصمت وتردد بين نفسها أحمد لتشعر أن شيء يُدغدغ مشاعرها ليتركها كريشة خفيفة بين الأرض والسماء؛ ليُحضر لها النادل قهوتها ويقطع هذا الصمت الناطق بالكثير من الكلام دون صوت ويضعها أمامها ويرحل، ليُمسك أحمد بالحديث تلك المرة قائلًا: **تتناولين قهوتك سادة أعتقد؟** لتفتح فمها مُندهشة قائلة له: وكيف عرفت؟

أحمد: مجرد تخمين وربما إحساس.

ليلى: من الواضح أن إحساسك صادق فأنا حقًا أتناولها سادة.

أحمد: ألا تجدين فيها مرارة قاسية؟

ليلى بابتسامة طفولية: سُكرها يكمُن بالنسبة لي في شيء آخر غير قطع السكر مما يجعلها سُكر زيادة.

أحمد بشيء من الدهشة: ما هو إذن علني أفعله أنا الآخر؟

ليلى: إنني أتناولها على صوت فيروز، و رائحة المطر، ودفء من أُحبهم، ومع هؤلاء أحسها سكر زيادة وليست سادة.

ليعلوا صوت صفير القطار مُعلن قُدومه إلى محطته ليقل ركابه إلى مرسى مطروح بلد الجمال والهدوء، ليقف الإثنين معًا ويسيران مُتجاورين دون كلام ليستقلا عربة قطار واحدة، ويجلسا بجانب بعضهما فأرقام مقاعدهما مُتجاورة وكأن القدر يرسم لهم حياتهُما ويُحدد مصيرهما، ليبدأ هو الحديث تلك المرة قائلًا: **أشعر أنكِ شاعرة يا ليلى.**

ليلى ضاحكة بصوت عالٍ: كل إنسان بيده أن يصير شاعر فقط ترجم ما يدور بداخلك بصدق.

أحمد: أبغضك على مشاعرك الطفولية تلك، أراكِ بسيطة في كل شيء حتى ما تنطقين به أجده بسيط كحلم طفل صغير.

ليلى: النفس البشرية أبسط مما تتخيل وفي نفس الوقت أعقد مما تتخيل.

أحمد باستغراب: وكيف تكون الحالتين في آن واحد؟

ليلى: حينما تجد من يحتويها ويستوعبها بكل ما فيها من حسنات وسيئات

وخير وشر وعقل وهفوات صدقني ستجدها بسيطة حالمة وحينما لا تجد كل هذا ستجدها أعقد مما تتخيل.

أحمد: ألا ترين أن كل حياتك تعتمد على المشاعر فقط؟

ليلى: عقلي هو قلبي فما أشعر به دومًا أجده صدق والقلب دومًا أصدق.

يصمت أحمد ويشرد خارج زجاج نافذة القطار الذي ينهب الأرض نهبًا في طريقه إلى مرسى مطروح ليجد صوت يتردد في أعماقه يقول له: **من أنتِ أيتها الليلى، ومن أين أتيتي لتحتلي كل هذا الشغف بداخلي** ليفيق من شروده على يد ليلى تهزه برفق قائلة: أحمد هل أنت بخير؟

لينظُر إليها وقد شعر أنه يسمع اسمه للمرة الأولى بحياته وأن يد خفية تمسح داخله من كل شيء وأي شيء إلا تلك القابعة بجواره قائلًا لها: **هل لي بسؤال؟**

ليلى: تفضل.

أحمد: كيف للإنسان أن يشعر مع شخص لا يعرفه بونس غريب وكأن الحياة بأكملها جمعته بهذا الشخص.

ليلى: بشيء بسيط جدًا ونقي بشكل مُخيف يُشبه الأطفال في براءتهم والأعياد في فرحتها، شيء كالصباحات المُمطرة وطعم حبات التوت والشيكولا يجعلنا نرى الحياة بألوان الطيف السبع، وأحلامنا معقودة بزيل طائرة ورقية تُسافر بنا بعيدًا عن الأرض شيء اسمه الحب.

أحمد: الحب إنه دومًا مِفتاح الحياة، يا رب هل من الممكن أن يكون ما أشعر به حب؟!

ليلى: هل لي أن أقول لك شيء ولم تعطيه تلك المرة فرصة للرد؛ فقد اقترب القطار من الوصول لتُكمل..

قائلة: اترك لنفسك العنان لتُحب وتحيا وتتنفس لن تخسر شيء بل ستكسب على الأقل إحساس؛ قلما نصادفه بحياتنا فإذا دق بابك يوم الحب؛ افتح له ذراعيك ورحب به فهو ضيف عزيز النفس لا توصد دونه الأبواب؛ كي لا يهجُرك.

ليصمت أحمد كمن شعر أنه يجلس مع أربعون امرأة في امرأة واحدة ليعلو فجأة صوت صفير القطار مُعلن وصوله إلى محطته الأخيرة لتخرُج منه تنهيدة قوية وبرفق شديد تهمس له: أحمد ماذا بك؟

أحمد: لا شيء، إنها تنهيدة راحة هل لي أن أُخبركِ بسر؟

تُجيبه بضحكة طفولية كمن كسب معركة كان يراهن فيها خصمه أنه هو الفائز، قائلة: أخبرني ما تود قوله وسرك في بئر عميق.

أحمد: أجمل شيء في الوجود هو أن تطمئن لشخص وتحسين معه دفء نقي خالي من الأطماع والحسابات وأنا أشعر معك هذا الإحساس أردت فقط أن أكون صادق مع نفسي ولو لمرة واحدة وأنطق ما أشعر به علنا لا نلتقي ثانية وبدون كلمات نهضا الإثنين وسار كلاهما بجانب الآخر صامتين تمامًا، وما كان منه إلا أن مد يده ممسك براحتها بشدة كمن يخاف أن يضل الطريق وتتركه أمه لتترك هي الأخرى راحتها في يده كتائه وجد مرساه.. ليقفا على رصيف المحطة محاولين أن يصيروا شُجعان ويرحل كل واحد منهما إلى جهته دون رفيقه.

وبابتسامة مهزومة قال لها: **أشكرك فقد جعلتني أرى الحياة بشكل آخر وأعطيتني في ساعات ما لم أشعر به في سنوات**، لتُغمض عينيها مُحاولة أن تخفي دمعة قد ترقرقت بهما، وابتسمت له تاركة إياه ماضية في طريقها وما إن خطت خطوتين حتى ناداها بصوت مرتفع: **ليلى**...

لتتوقف في الحال وتستدير إليه لتجده يجري نحوها مادًا إليها يده هامسا لها: **أحتاج كفك أستند إليه في حياتي أتوافقين؟؟**

لتضحك بصوت مرتفع قائلة له: وأنا كفي مُتعب وبحاجة لمن يُمسك به ليُمسك كلاهما بيد الآخر ويمضيان في طريقهما حيث الحب والأمل والحياة.

تمت بحمد الله

obeikan.com